

تفسير ابن كثير

قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آتَيْنَا وَأَحْيَيْتَنَا آتَيْنَا فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ

وقوله : (قالوا ربنا أمتنا آتئين وأحييتنا آتئين) قال الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن أبي

الأحوص ، عن ابن مسعود [رضي الله عنه] : هذه الآية كقوله تعالى : (كيف تكفرون

بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) [البقرة : 28] وكذا

قال ابن عباس ، والضحاك ، وقتادة ، وأبو مالك . وهذا هو الصواب الذي لا شك فيه

ولا مرية . وقال السدي : أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم فخطبوا ، ثم أميتوا ثم أحيوا

يوم القيامة . وقال ابن زيد : أحيوا حين أخذ عليهم الميثاق من صلب آدم ، ثم خلقهم في

الأرحام ثم أماتهم [ثم أحياهم] يوم القيامة . وهذا القولان - من السدي وابن زيد -

ضعيفان ؛ لأنه يلزمهما على ما قالا ثلاث إحياءات وإماتات . والصحيح قول ابن مسعود

وابن عباس ومن تابعهما . والمقصود من هذا كله : أن الكفار يسألون الرجعة وهم وقوف

بين يدي الله - عز وجل - في عرصات القيامة ، كما قال : (ولو ترى إذ المجرمون

ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون) [السجدة

[12 :] ، فلا يجابون . ثم إذا رأوا النار وعابنوها ووقفوا عليها ، ونظروا إلى ما فيها من العذاب والنكال ، سألو الرجعة أشد مما سألو أول مرة ، فلا يجابون ، قال الله تعالى : (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) [الأنعام : 27 ، 28] فإذا دخلوا النار وذاقوا مسها وحسبها ومقامعها وأغلالها ، كان سؤالهم للرجعة أشد وأعظم ، (وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير) [فاطر : 37] ، (ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون . قال اخسئوا فيها ولا تكلمون) [المؤمنون : 107 ، 108] ، وفي هذه الآية الكريمة تطفوا في السؤال ، وقدموا بين يدي كلامهم مقدمة ، وهي قولهم : (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) أي : قدرتك عظيمة ، فإنك أحييتنا بعد ما كنا أمواتا ، ثم أمتنا ثم أحييتنا ، فأنت قادر على ما تشاء ، وقد اعترفنا بذنوبنا ، وإننا كنا ظالمين لأنفسنا في الدار الدنيا ، (فهل إلى خروج من سبيل) أي فهل أنت مجيبنا إلى أن تعيدنا إلى الدار الدنيا ؟ فإنك قادر على ذلك ; لنعمل غير الذي

كنا نعمل ، فإن عدنا إلى ما كنا فيه فإننا ظالمون . فأجيئوا ألا سبيل إلى عودكم
ومرجعكم إلى الدار الدنيا . ثم علل المنع من ذلك بأن سجاياكم لا تقبل الحق ولا
تقتضيه بل تجحده وتنفيه ؛ ولهذا قال تعالى :